المحور الثالث
دور مملكة مالي في التنمية الاجتماعية و اقتصادية .

لقد ساهمت مملكة مالي أيضا في التنمية الاجتماعية و الاقتصادية، من خلال التنظيم الاجتماعي و الاقتصادي الذي أدى إلى تنمية الفرد و المجتمع المالي من حيث ظروف الحياة او من خلال نمط العيش و الرفاهية، بالإضافة إلى تطور الإنتاج.

أولا: التنظيم الاقتصادي:

وضع سونديانا كيتا نظاما و مشروعا حضاريا متكاملا لمملكة مالي، حيث ساهم الجانب الاقتصادي منه في تنظيم الحياة الاقتصادية ونجاعتها مما انعكس على الفرد المالي بالفائدة ، حيث عمد إلى توظيف ثروات كل منطقة من مناطق الإمبراطورية في الرفاهية الاقتصادية للدولة، واستغلالها بطريقة عقلانية وبراغماتية. فالغرب خصص لإنتاج المواد الغذائية والزراعية، والوسط خصص لإنتاج الحديد، بينما كان الشمال يزود الإمبراطورية بالملح، ويبقى الجنوب وغاباته مصدرا لجلب البطاطا، ونواة الكولا، ومختلف الدرنيات[1].

ولقد كانت إمبراطورية مالي تعاني كثيرا من نقص الملح، وكانت هذه المادة تتواجد في منطقة الساحل بالشمال أين تسيطر على مناجمه القبائل البربرية. كما انه بعدما ألغى سونديانا تجارة الرقيق، فإنه لم يعد ممكنا مقايضة هذه المادة بالعبيد، لذلك كان عليه أن يستغل ثروات البلاد والبحث عن مصادر أخرى للتجارة بها ومقايضتها بالملح عوض العبيد. ولما كانت أرض مالي غنية بالذهب، فقد دعا سونديانا في خطابه الذي ألقاه عند الإعلان عن ميلاد الإمبراطورية إلى ضرورة البحث عن مناجم الذهب واستخراجه من أرض مندن التي تزخر به[2].

أما بالنسبة لمعدن الحديد، فقد أوكل مهمة استخراجه وصناعته إلى الأسرى الصوصو المعتقلين خلال حرب كيرينا، حيث أمر سونديانا بتسخيرهم للخدمة في الأفران الكبرى للحدادة والتعدين التي تعد مهنتهم الأصلية، وذلك تكفيرا عما قاموا به ضد مالي، لكنه حرص على أن يعاملوا معاملة طيبة للملتزمين بعملهم[3].

وقد ركز سونديانا كثيرا على تنشيط التجارة التي اعتبرها الشريان الحيوي للأمة من خلال تنشيط تجارة الذهب[4] وتنظيم التجارة النهرية، لكنه وجه اهتماما خاصا للنشاط الزراعي، حيث أدخل إلى مالي زراعة القطن والفستق وشجرة البابايا أو المانغو[5].كما

---

(4) Rosa Amelia plumelle - Vribe : Traite des blancs traite des noirs : Aspects méconnus et conséquences actuelles. Editions l'harmattan,(paris, 2008, p50).

)**2**(Youssouf tata cissé et Wa kamissoko :La grande geste, tome 2,p28

)**3**(Ibid,p28

)**4**(Al hassane chérif :L'importance de la parole chez les Mandingues de Guinée. Etudes Africaines, Collection dirigé par Denis pryer. Edité par l'harmattan, paris, 2005, p29.

)**5**(Tidiane N'diaye : Op.Cit, p32-

عرفت الإمبراطورية إنتاج الدخن، السورغو والأرز بكميات كبيرة جدا[6]. هذا وقد اهتم سونديانا كثيرا بتطوير أساليب تربية المواشي والرعي[7].

وهكذا فقد عمل سونديانا طوال فترة حكمه التي دامت 25 سنة حسب ابن خلدون[8]، وواحد وعشرون سنة ـــــ حسب دولافوس[9] ـــــ على تأسيس إمبراطورية واسعة، وتدعيم أركانها، وتعزيز الوحدة الوطنية، و حماية ترابها وشعبها. كما حرص على إسماع صوت مالي الجهات الأربعة من العالم كما جاء في خطابه الشهير الذي ألقاه بعد تنصيبه منسا لكل مندن[10]، وكان له الفضل في ارتقاء عائلة كيتا عندما حصر الحكم في مالي على ذريته من آل كيتا. وبهذا يكون قد حجز لهذه العائلة مكانة في تاريخ مملكة مالي الإسلامية، وسمح لأبنائها بصناعة مجد لم يكن حكرا على مملكتهم، وإنما بقي ذخرا لكل الأفارقة السود فيما وراء الصحراء، ذلك أن هذه العائلة ورغم رحيل زعيمها الأكبر سونديانا، إلا أنها خلفاءه من بعده استمروا في توطيد أركان الدولة وتوسيع حدودها،وإرساء دعائمها إلى أن بلغت أوجها، إلى غاية بداية القرن الثامن للهجرة/14م.

اما في عهد ملوك مالي الذين خلفوا سونديانا فقد استغلوا موقع مملكتهم في منطقة النيجر الأعلى الغنية بشبكتها الهيدروغرافية، وتربتها التي تتشكل من مزيج من الحجر الرملي وأكسيد الحديد والغضار وحجر الصوان، مما يمثل عامل مهم في الحفاظ على البقايا النباتية والحيوانية والدبال، ويسمح بزراعة الذرة، البطاطس، الدّخن، الفاصوليا والأرز، كما أن مناخها اللطيف وأمطارها التي تسقط خلال ستة أشهر من السنة(من شهر ماي إلى شهر أكتوبر)،[11] كلها عوامل هيأت المملكة لتكون بلدا زراعيا، لكن تحكم جماعة كيتا الصيادين في زمام الأمر بكنغابا منذ وقت مبكر جعل المملكة تشتهر بحرفة الصيد كنشاط اقتصادي أول. لكن إدراك سونديانا كيتا فيما بعد أهمية الزراعة بالنسبة لأمته المندية، جعله يعمل على إدخال محاصيل زراعية أخرى، فقد أدخل إلى مالي زراعة القطن والفستق وشجرة البابايا أو المانغو،[12] كما عرفت الإمبراطورية بفضله إنتاج الدخن، السورغو والأرز بكميات كبيرة جدا.[13]

) **6**(Rosa amelia plumelle – Vribe : Op.Cit, p51

)**7**(Tidiane N'diaye : Op.Cit, p32

(**8**)- العبر، مج6،ص267

(**9**)يحددها دولافوس بواحد و عشرين سنة على اعتبار أن بداية حكمه حسبه كانت في عام 1234م/631هـ، أي عندما استدعاه نبلاء مندن لقيادتهم في الحرب ضد مملكةالصوصو . بينما توفي حسبه سنة1255م/652هـ.-Haut Sénégal) Niger, t2, p28)

(**7**)Youssouf tata cissé et Wa kamissoko :La grande geste, tome 2,p28

)**11**(Dr Colomb : Les populations du haut Niger,p2.

(**12**) Tidiane N'diaye : Op.Cit, p32

أنظر أيضا: الشارف محمد : إمبراطورية مالي. مقال نشر في الموقع الالكتروني: *http://www.islamichistory.net.* الاطلاع عليه في جويلية 2006.

) **13**(Rosa amelia plumelle Vribe : traite des blancs traite des noirs, p51.

وبذلك بدأت المملكة تهتم بالزراعة، فوضع دستور مندي الشهير بكوروكان فوكا قوانين صارمة خاصة بتنظيم العمل الزراعي، ومحاربة ظاهرة هروب العمال من الحقول، واتُّخذت إجراءات خاصة بمكافحة شرود الدواب خلال موسم الزرع والحرث، حيث يمسكون بها ويعيدونها إلى رئيس القبيلة.[14] وقد طبقت هذه القوانين بصرامة في عهد سونديانا، وفي عهد خلفائه الأوائل من بعده، بل تحولت مع مرور الوقت إلى تقاليد ثابتة لا تتغير مع تغير الأنظمة والحكومات.

ورغم أن المصادر الخاصة بتاريخ مالي لم تترك لنا تفاصيل دقيقة حول النشاط الزراعي وتقنياته، وطبيعة ملكية الأراضي والسياسات الزراعية المطبقة، إلا أننا نستطيع أن نفهم من كلام العمري عند قوله ((ولأمراء هذا الملك وجنده إقطاعات وإنعامات) [15] بأنه كان للأمراء والجنود أراض خاصة بهم. كما نجد في نفس المصدر بأن الملك منسا موسى قد وضع قوانين صارمة في مراقبة وحماية الإنتاج الزراعي من السرقة، حيث كان الماليون يزرعون شيئا يشبه البطاطا يعرف عندهم باسم القافي الذي كان يزرع في الخلاء، ولكن إن أُبلغ الملك بأن أي أحد قد سرق منه شيئا عاقبه بقطع رأسه وتعليقه في المكان الذي قطع فيه حتى يكون عبرة لغيره، ولا تنفع مع هذا الفعل أية شفاعة لدى الملك.[16] وبالتالي فإننا نستنتج من كلام العمري شيئين مهمين هما:

الأول هو أن الملك كان يراقب النشاط الزراعي عن قرب، بل ويبدي صرامة كبيرة في دعم الفلاحين وحماية إنتاجهم.

أما **الأمر الثاني** فهو أن حرص الملك على معاقبة سارقي منتوج القافي، وحرص الموظفين على إطلاعه بأمر السرقة رغم أنه يبدو تافها أمام أمور الإمبراطورية التي تشغله، وهو ما يقودنا إلى الاعتقاد بأن تلك الأراضي التي كان يزرع فيها هذا المحصول، والتي قال عنها العمري بأنها أراضي موجودة في الخلاء يمكن أن تكون أراض خاصة بالملك وحاشيته، أي أراضي إقطاعية.

وبهذا يمكن أن نقول بأن تدخل الملك في النشاط الزراعي قد ارتبط بأهمية الزراعة في توفير الأمن الغذائي للدولة وفي تموين جيشها العظيم، إلى درجة أصبح فيها الملك ينتظر موسم جني المحاصيل لتقييم مدي خضوع الفلاحين لسلطته وقياس مدى ولائهم له. حيث كان يتعين على الفلاحين خلال حلول موسم جني المحاصيل تقديم فروض الطاعة والولاء، وإظهار درجة وفائهم للملك من خلال تقديم باكورة الإنتاج إليه، وأن عدم الالتزام بذلك يفَسَّر على أنه خروج عن المنسا وعصيان له.[17]

ومجمل القول فإن مملكة مالي كانت تنتج عددا متنوعا من المحاصيل وخاصة الحبوب التي يتقدمها الأرز ونبات آخر يعرف بالفوني،[18] وكان الأرز يزرع في أودية نهري النيجر والسنكراني، بالإضافة إلى مناطق السنغال وغمبيا، كما كان يزرع الدخن أو الذرة في التربة

(**14**) CELHTO :La charte de Kurukan Fuga,p20 .

(**15**) المصدر السابق، ص 116 .

(**16**) العمري: المسالك،ج4، ص 111.

(**17**) نيان تمسير جبريل: المرجع السابق، ص175 . نشير إلى أنه في القديم كان المندي يقدمون جزء من باكورة إنتاج البطاطا لرئيس القبيلة كمظهر من مظاهر الاحترام .

(**18**) العمري: المصدر السابق، ص 111 .

الجافة في السهول.[19] أما الشعير فهم منعدم لديهم ولا ينبت أبدا. ويزرع الماليون أنواعا عديدة من الخضر كالفاصوليا والقرع واللفت والبصل والثوم والباذنجان والكرنب والملوخية، أما الفواكه فهي متوفرة بأنواع شتى، فمنها الجميز وأشجار غير معروفة إلا عندهم مثل شجر يسمى نادموت، وآخر يسمى زبيزور تشبه ثماره ثمار الخروب، وشجر يسمى شومي ثماره شبيهة بالسفرجل، وطعمه قريب من طعم الموز، وشجر اسمه فاريتي وهو شبيه بالليمون وطعمه شبيه بطعم الكمثري.[20]

أما فيما يخص تربية المواشي والأغنام فإنها كانت مزدهرة أيضا في مالي، وكان كل شعب يهتم بنشاط حيواني معين ويختص فيه، بحيث كان شعوب السهول كالفلاته ينفردون بتربية الماشية، وخلال القرن الرابع عشر للميلاد/الثامن للهجرة، أصبح معظم الريفيون في نهر النيجر يمارسون تربية البقر والأغنام والماعز،[21] لكن يظهر بأن عملية الرعي لم تكن منظمة ولم تكن تتم في مراعي معينة، وإنما كانت ترعى على القمامات والمزابل. ورغم ذلك فإن إنتاجها كان وفيرا بحيث كانت تلد الواحدة منها في بطن واحد سبعة وثمانية صغار.[22] كما كان الصيد تمارسه جماعات عريقة مثل السومونو في أعالي النيجر، والبوزو في حوض النيجر الأوسط والسوركو في بلاد سنغاي.[23] وقد لخص ابن بطوطة هذه الرفاهية الغذائية وحالة الرخاء من لأمن الغذائي التي حققها أحفاد سوندياتا، في قوله بأن المسافر في بلاد مالي لا يحمل زادا ولا غذاء، وكلما وصل إلى قرية استقبلته النساء السودانيات باللّبن والدجاج ودقيق الأرز والفوني ودقيق اللُّوبياء فيشتري ما أحب منه.[24]

ثانيا: في الميدان التجاري:

يقول المؤرخ الإنجليزي جون فيج بأن إمبراطورية مالي قامت من خلال الزعيم سوندياتا وأسلافه من آل كيتا بنفس الدور التجاري الذي قامت به إمبراطورية غانة، ألا وهو السيطرة على التجارة الرئيسية في كل السودان الغربي، إلى درجة انه أصبح فيها المؤرخون يخلطون بين الإمبراطوريتين.[25]

إن هذا الكلام لا يجب أن يُفهم على أن مالي لم تقم سوى بوراثة دور سالفتها غانة في السيطرة على المراكز التجارية الهامة بين الشمال وبلاد السودان وكذا مناجمها المعدنية الثمينة، ذلك أن ملوك مالي بدء بسوندياتا ومرورا بخلفائه من بعده، حوَّلوا المكاسب المادية لهذه التجارة إلى تدعيم قوتهم العسكرية وفرض الأمن لأكبر مساحة للتجار، مما مكّنهم من توسيع سيطرتهم التجارية التي جعلت من مملكتهم إمبراطورية عسكرية وسياسية وتجارية أيضا،كما ساهمت القوة العسكرية المالية في فرض سيطرتهم على مناجم الذهب في بوري والذي يعد أهم سلعة في التجارة بين جنوب وشمال الصحراء.[26]كما عملت توسعات منسا موسى العسكرية خلال القرن الرابع عشر للميلاد/الثامن للهجرة، على تقريب المملكة من

---

(19) نيان تمسير جبريل:المرجع السابق، ص 175 .
(20)نيان تمسير جبريل:المرجع السابق،،ص 113 .
(21) نفسه، ص 175.
(22) العمري:المصدر السابق،ص 113 .
(23) نيان تمسير جبريل:المرجع السابق، ص 175 .
(24) المصدر السابق، ص 680.
(25) تاريخ غرب إفريقيا، ص 53.
(26) نيان تمسير جبريل: المرجع السابق، ص 176.

المراكز التجارية في الشمال كولاته ومن مناجم النحاس في تاكده.[27]وكذا سيطرتهم على المحطات التجارية الهامة لقوافل الطوارق كتوات وتمنطيت.[28]

ومن العوامل التي ساعدت خلفاء سونديانا على السيطرة على تجارة السودان الغربي هو معدن الذهب الذي كان في وقت سابق يموّل الأسواق في كل إمبراطورية غانة خلال القرنين الرابع والسادس الهجريين/10و12الميلادي، والذي بقي يشكل أهم مصدر للدخل بالنسبة لأسواق إمبراطورية مالي خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين/ 13و15م.

لكن الشيء الذي تغير في عهد قوة خلفاء سونديانا، هو أن إمبراطوريتهم كانت تسيطر على مساحات أوسع من تلك التي كانت بحوزة إمبراطورية غانة، وبالتالي كانت لديها مصادر أكثر، فمع بداية القرن الثامن للهجرة/14م بدأت مالي تتوسع في الدلتا الداخلية للنيجر في منطقة جاو وفي إمارات سنغاي الشرقية، مما أضاف دفعا قويا ومصدرا جديدا لتجارة العبيد وزيادة في مداخيل الضرائب الناجمة عن مراقبة تجارة القوافل.[29]كما استفاد أحفاد سونديانا ومملكتهم من تحوّل الطريق التجاري الصحراوي من الغرب (وهو الرابط بين ولاته ومراكش مرورا بسجلماسة) إلى الشرق (وهو الرابط بين تمبكتو وزويلة أو بين تمبكتو والبنهاسا بمصر مرورا بتادمكة ووركلان)، وذلك بسبب اندلاع الثورة الموحدية بالمغرب الأقصى والتي انتهت بسقوط الدولة المرابطية،[30] وقد ساعد على هذا التحول شرقا في التجارة الصحراوية عندما أصبح إنتاج الذهب يتم من الجهة الشرقية لحوض النيجر الأعلى، بالإضافة إلى كثرة حوادث قطع الطريق بين ولاته وسجلماسة، ومنه برزت أهمية مالي والتجار الماليين الذين أصبحوا ينافسون التجار المغاربة.[31]

إذن فالقوة العسكرية لمالي لم تكن العامل الوحيد في سيطرتها التجارية، ذلك أن سيطرة مالي على التجارة ضمن مجالات واسعة جدا لمدة تزيد عن القرنين[32] ساهم فيها العنصر البشري بشكل ملحوظ جدا، فالتجارة السودانية بشكل عام كانت تسيطر عليها ثلاث جماعات عرقية هي المندي، الهوسا واليوروبا، وكان المندي الذين يتشكل منهم أغلبية الشعب المالي يتفرعون بدورهم إلى ثلاثة فروع هي الديولا، الونغارا والداندي. وكان الديولا وهم المالنكي التجار يمارسون التجارة على مستوى منطقة فولتا العليا وساحل العاج الحاليين، أين كانوا يراقبون تجارة الكولا والذهب الذي يستبدلونه مع الملح في مناطق بوندوكو، بونا و كونغ.[33] ولعل الشيء الذي يميز الديولا عن غيرهم من المالنكي هو أنهم لم يسكنوا إلا

(**27**) جون فيج: المرجع السابق، ص 55.

(**28**) أنظر ابن خلدون: العبر، مج7، ص 118.

(**29**) Conrad(David) : Empires of medival West Africa : Ghana, Mali, and Songhay, p40. -Tidiane N'diaye : La longue marche des peuples noirs, pp31, 32.

(**30**) انظر ابن عذارى: البيان المغرب. تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني،محمد زنيبر، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة.دار الغرب الإسلامي، بيروت،1406هـ/1985م، الجزء الرابع (قسم الموحدين)، ص16 وما يليها.

(**31**) عز الدين عمر موسى:دراسات إسلامية غرب افريقية.دار الغرب الإسلامي،طبعة ثانية، 1424هـ /2003م ، ص ص 64،65.

(**32**) وتمتد هذه الفترة من انتصار معركة كيرينا عام 1235م إلى بداية التواجد البرتغالي في المنطقة مع نهاية القرن الخامس عشر للميلاد.

(**33**) Igue(John) : Le territoire et l'état en Afrique. Les dimensions spatiales du développement. Editions Karthala, Paris, 1995, p158.

المدن، بعيدا عن الأهالي المزارعين الوثنيين،[34] وربما هو الشيء الذي سمح لهم بتشكيل مجتمع ديني وتجاري، وجعلهم أكثر تفتحا على التجار المسلمين القادمين من شمال الصحراء فاحتكوا بهم، وسيطروا بذلك على المركز التجارية الشمالية.

لهذا كان الديولا يمثلون أكبر لوبي تجاري خلال فترة ازدهار مملكة مالي، فسيطروا على نشاط تجاري يمتد من الغابات التي كان يسكنها الوثنيون، وجلبوا إلى الشمال الذهب من منطقة بوري، بامبوك و بوندوكو، بالإضافة إلى مناجم بلاد الاشنتي. حيث كان تجار ديولا وحدهم الذين يمتازون بثقة سكان الغابات، ولا يسمحون لغيرهم بالاقتراب من مناجم الذهب، كما كانوا يجلبون نبات الكولا، بينما كانوا يحملون من الشمال إلى الجنوب قطع النسيج والمصنوعات الزجاجية والجلود المدبوغة وألواح الملح التي كانت تجلب من الملاحات الصحراوية كأوليل أو(ترارزة)، وإيجيل وتغازة.[35] أما الونغارا فكانوا يتمركزون في بلاد الأشانتي حول منطقة كينتامبو (Kintampo) و أتيبوبو (Atebubu)، وذلك من أجل مراقبة تجارة الكولا والذهب.[36]

ومع حلول القرن الثامن للهجرة/14من تمكن الونغارا من الوصول إلى أسواق ومملحات الصحراء وهو نشاط يدل على تطور المبادرة التجارية لهؤلاء الونغارا، وقدرتهم على منافسة تجار الصحراء القادمين من بلاد المغرب ومصر، فعمل وصول التجار الماليين إلى مملحة تاغزة على تخليص إمبراطوريتهم من الضغط الذي كان يمارسه عليها بربر مسوفة باحتكارهم لتجارة الملح.[37] بينما كان الدندي يتمركزون في الشرق أين أسسوا مدينة كاندي، وجوكو في البنين الحالية، وكانوا يهتمون بتنظيم الأسواق ويوفرون مؤسسات لاستقبال للقوافل التجارية.[38]

كما لعبت بعض المدن التجارية دورا مهما في هذه السيطرة التجارية لمالي، فكانت مدينة ولاته أولى هذه المراكز التي أسسها السوننكي المسلمون المعروفون بالونغارا، والجداليون مع بداية القرن السابع للهجرة هروبا من بطش الصوصو عندما قاموا بغزو عاصمة غانة كومبي صالح.[39] فكانت تمثل أول عمالات السودان للتجار المغاربة القادمين من الشمال، فهي لا تبعد عن سجلماسة إلا بمسيرة شهرين فقط.[40]ولعل وقوعها على الحدود بين منطقة السافانا والصحراء الكبرى، ووقوعها في مفترق الطرق الذي يعبره تجار السودان والذاهبون إلى الحج منهم، هو الذي مكّنها من استقطاب اهتمام التجار وجعل منها المحطة

(**34**) Delafosse(M) : Haut Sénégal-Niger, tome1, p280.

(**35**) Sory (Kamara) : Gens de la parole, p22.

ونشير إلى أن ملح أوليل كان يحمل إلى غلام أولا، ومنها يحول إلى قلب مالي مرورا بمناطق كيتا ونياغاسولا، أما ملح إيجيل فيمر عبر ودانثم يحمل عبر طريق(تيشيت ـ ولاته ـ تمبكتو) قبل أن يصل إلى منطقة الغابات، بينما ملح تاغزة فكان يمر غبر تمبكتو ومنها إلى جني ثم إلى مالي. (Sory (Kamara) : Op.Cit,p22)

)**36**(Igue(John): Op.Cit. p158.

(**37**) الشكري (أحمد):المرجع السابق، ص 193 .

)**38**(Igue(John): Op.Cit, p158.

)**39**(E.W.Bovil and Robin Hallet : Op.Cit, p89 - Cuoq(Joseph) : Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'ouest, des origines à la fin du16ème siècle. Librairie orientaliste Paul Gauthner, Paris, 1984, p91 .

(**40**) ابن بطوطة:المصدر السابق، ص676.

النهائية لعابري الصحراء باتجاه السودان الغربي، فعوضت بذلك الدور الذي كانت تلعبه أودغست المندثرة.[41] وعندما زارها ابن بطوطة خلال القرن الثامن للهجرة في عهد منسا سليمان كانت تابعة لإمبراطورية هذا الأخير، وكانت تتوفر على فنادق، ووجد بها مسؤول يتكفل بضيافة التجار والإشراف على شؤونهم يدعى منشاجو.[42] وبقيت تعلب هذا الدور كمحطة تجارية إلى غاية القضاء عليها من طرف الطوارق سنة 838هجرية /1433م، والذين أهملوها وفضلوا تطوير تمبكتو على حسابها.[43]

وتعد جني أكبر مدينة تجارية في مالي، فهي تعد مدينة وإمارة في نفس الوقت، تبعد عن ولاته بخمسمائة ميل، وتمتد على طول نهر النيجر على مسافة مائتين وخمسين ميلا.[44] ولقد أصبحت منذ بداية عهد خلفاء سونديانا الأوائل أي خلال القرن السابع للهجرة /13م مركزا تجاريا مهما بفضل موقعها في ملتقى الطرق التجارية، بالإضافة إلى إحاطة المياه بها مما جعلها في مأمن من الغارات الأجنبية.[45] فبدأ أهلها يحققون أرباحا هائلة من تجارة القماش والنحاس والسلاح.[46] فكان يلتقي فيها أرباب الملح القادمون من تغازة ، وأرباب الذهب القادمون من أودغست، فاستقطبت إليها التجار مكان كل الآفاق، حيث كانت أسواقها تدوم طوال أيام الأسبوع.[47] وكانت تستعمل فيها حتى القوارب لنقل الملح وسلع أخرى من تمبكتو إلى جني، فلقد كانت القوارب في جني كبيرة وقوية يقدر طول الواحد منها بعشرين مترا، وعرضها ثلاثة أمتار، بينما يقدر عمقها بمتر ونصف، وكانت قادرة على حمل كميات كبيرة من السلع كالزبدة، الأرز، القماش، السمك، الدخن، وأكثر من خمسين عبدا. وكان طاقم القارب يتكون من 16 أو 18 بحارا معظمهم من قبيلة البوزو المشهورين بنشاطهم النهري.[48]

أما تمبكتو فلم تتحول إلى مركز تجاري مهم إلا بعدما بدأت ولاته تفقد مكانتها، فاستولت تمبكتو على تجارة ولاته وحتى ثقافتها.[49] ورغم الطبيعة الصحراوية والأرض القاحلة لتمبكتو، إلا أنها استفادت من التنوع الكبير للأجناس الذين سكنوها، وتنوع تركيبتها الديموغرافية من طوارق إلى بربر و سوننكي و سنغاي وعرب و مالنكي و فلاته.[50] وتعد تمبكتو حديثة النشأة مقارنة بغيرها من المراكز التجارية الأخرى، إذ يعود بناؤها إلى أواخر القرن الخامس للهجرة/11م على يد قبائل بني مقشرن الطوارق.[51] إلا أنها تحولت إلى

(**41**) شعباني (نور الدين): المرجع السابق، ص 116.

(**42**) المصدر السابق، ص676.

(**43**) Cuoq (Joseph) :Op.Cit. p91.

(**44**) حسن الوزان: المصدر السابق، ص162.

(**45**) الشيخ أمين عوض الله: تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى نهاية القرن اللسادس عشر. ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19م، الصادر عن المعهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984م، ص 84.

(**46**) حسن الوزان: المصدر السابق، ص163.

(**47**) السعدي: المصدر السابق، ص 12 .

(**48**) Niane temsir djibril :Le soudan occidental, p201 ,202.

(**49**) E.W.Bovil and Robin Hallet : Op.Cit, p89.

(**50**) Elias(N)Saad :Social history of timbuktu :The role of muslims scholars and notables.1400-1900,Cambridge university press,2010,p38.

(**51**) السعدي: المصدر السابق، ص 20.

مدينة تجارية كبرى بفضل منسا موسى وأخوه سليمان اللذان عمراها ووفرا لها الحماية، وجعلا فيها الدكاكين والصناعات، وجلبا إليها البنائين، وازدهرت بها التجارة والعلم.[52] كما أن سمعتها كمخزن للتبر والذهب أصبحت تجلب التجار من كل نواحي دراع والسوس و سجلماسة و فاس، بالإضافة إلى تجار توات و غدامس و فزان وأجيلا في الصحراء.[53]

وقد عرفت مدينة كوكيا نشاطا تجاريا كبيرا، وخاصة خلال فترة حكم منسا أولي، وإلى غاية فترة حكم منسا موسى، حيث استفادت من موقعها على ضفاف نهر النيجر، وازدهارها في مجال الزراعة والصيد البحري. ومع تطور إمبراطورية مالي غيرت كوكيا من نشاطها وتحولت إلى ميناء نهري هام عمل على ربط وتوجيه كل السلع التي تصل إلى تادمكة، وتحويلها إلى المدن الهامة للإمبراطورية والواقعة على ضفاف نهر النيجر، أي أنها تحولت إلى نقطة التقاء نهرية للتجارة الكبرى في مالي.[54]

وبالإضافة إلى هذه المحطات التجارية الكبرى، عرفت إمبراطورية مالي أسواقا محلية عديدة اختصت كل واحدة منها في نقل سلع معينة، فمنطقة كورغو مثلا والواقعة على حدود غابة السافانا، فلقد كانت سوقا كبيرا للكولا والذهب، بينما نياني العاصمة فقد اشتهرت بأهميتها وموقعها الجغرافي الرابط بين بمنجم بوري للذهب، والغابة التي تأتي منها زيت النخيل والكولا اللذان يكثر عليهما الطلب، كما كانت سيلا في بلاد التكرور وكانو في بلاد الهوسا، عبارة عن أسواق محلية داخلية ذات نشاط موسمي.[55]

وكانت المعاملات التجارية تتم بطريقتين، فتلك التي تتم داخل الإمبراطورية تتم عن طريق المقايضة، حيث كانت تستعمل الملح كمادة للمقايضة، وهذا نظرا لندرة الملح في بلاد السودان لذا كان المليون يقاضونه بالذهب. فكانت حمولة الإبل من الملح[56] المجلوب من تغازة تباع في ولاته مقابل عشرة إلى ثمانية مثاقيل من الذهب، بينما تقايض نفس الحمولة من الملح في مدينة نياني العاصمة ما بين عشرون وثلاثون مثقالا، وقد يصل إلى أربعين مثقالا من الذهب.[57] علما بأن المثقال الواحد يعادل4.5 غرام من الذهب.[58] كما استعمل معدن النحاس أيضا كسلعة للمقايضة، فقد كان النحاس الأحمر المجلوب إلى مدينة نياني يقاض كل مثقال منه بثلثي وزنه ذهبا، ويباع كل مائة مثقال منه بستة وستين مثقال ذهب.[59] وفي تاكدة وهي مدينة النحاس كان تجارها يشترون بالقضبان القضبان النحاسية الرقيقة اللحم والحطب، ويبتاعون بالقضبان الغليظة العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح.[60]

(**52**) حسن الوزان: المصدر السابق، ص165.

) **53**(E.W.Bovil and Robin Hallet : Op.Cit, p89,

)**54**(Ogunsola (John igue) :Les villes précoloniales d'Afrique noire. Editions Karthala, Paris, 2006, p37.

)**55**(Niane temsir djibril :Le soudan occidental, p201 ,202.

(**56**) وكانت تقدر حمولة جمل من الملح بـ 150 كلغ. (الشكري أحمد: المرجع السابق،ص193).

(**57**) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص674.

) **58**(Niane temsir djibril : Recherches sur l'empire du Mali, p68.

(**59**) العمري: المصدر السابق، ص ص 126و127.

(**60**) ابن بطوطة:المصدر السابق، ص 697.

ولقد انتشر استعمال النحاس الأحمر في المعاملات التجارية خلال فترة حكم الملك منسا موسى، إلى درجة أصبح فيه هذا المعدن هو الشيء الوحيد المعرض للمكوس حسبما أخبر به منسا موسى محدثه الفقيه أبا الروح عيسى الزواوي الذي التقى به بالقاهرة.[61] وفي بعض الأحيان كانت الأصداف التي تجلب من المحيط الهندي، والتي كان يجلبها التجار العرب، تعوض الملح والنحاس في المعاملات التجارية، وخاصة في الإمارات الشرقية للإمبراطورية مثل مملكتي غورما وجاو.[62] كما استعملت الودع في دولة مالي، فيذكر العمري بأن المعاملة في بلاد التكرور بالودع، وأن التجار أكثر ما تجلب إليهم الودع.[63] وكان المثقال الواحد من الذهب يقايض بثلاثة ألاف ودعة في تمبكتو.[64] ومع وجود بعض النقود المعدنية ذات الشكل الحلزوني، والتي كانت تستعمل في المعاملات العادية، فإن العملات الأكثر قيمة ورفعة تبقى تلك النقود الذهبية الملساء التي تعرف بالدينار الأصلع، والذي كان يضرب بمالي، ويتشكل هذه النقود من قطع صغيرة من الذهب الخالص الناعم ، التي لم تكن تحمل أي ختم.[65]

ويبقى الذهب المعدن الأكثر أهمية في التعاملات التجارية وبسببه كانت القوافل التجارية القادمة من المغرب ومصر وأطراف الدنيا تقطع الصحراء الكبرى، وتكابد مشاقها ومخاطرها للوصول إلى هذا المعدن النفيس الذي أكسبته رحلة منسا موسى إلى الحج شهرة كبيرة وحيكت حوله الأساطير. وكان ذهب مالي يوجد بغالام التي تلقب ببلاد الذهب، وهي مدينة تقع عند المجرى الأعلى لنهر السنغال، وتعرف بلغة السوننكي باسم غاجاغا (Gajaaga) ويقصدون بها سكان الغرب لأنها تقع غرب الإمبراطورية.[66] كما يجلب من منطقة بامبوك وبوري في الجنوب التي كان يسيطر عليه شعب الجالونكي الكفار. وقد ارتبط استغلاله ببعض التقاليد الوثنية، فرغم انتشار الإسلام في ربوع الإمبراطورية إلا أنه كان يعتقد بأن هذا الذهب سيزول إذا ما أصبح تحت سيطرة المسلمين، لذلك حرص منسا موسى على عدم التدخل في أمور الجالونكي أسياد الذهب، ولا يأخذ منهم جزية، لكن في المقابل فهم يستخرجون له الذهب ويقدمونه له.[67]

أما المعاملات الخارجية فقد كان يتم بعضها بالعملات المختلفة، كالدرهم والدينار الموحديين والدرهم الحفصي، لكنها كانت نادرة الاستعمال[68].ومعظم التعاملات الخارجية كانت تتم مقايضة بالذهب أو العبيد أو العاج. وقد ربط أحفاد سونديانا علاقات تجارية مع

(**61**) العمري:المصدر السابق، ص 126 .

(**62**) Niane temsir djibril : Recherches sur l’empire du Mali, p68.

(**63**) المصدر السابق، ص 122.

(**64**) طرخان(إبراهيم علي):المرجع السابق، ص 140.

(**65**) مارمول كرفجال: إفريقيا الجزء الثالث،ص 203

Mauny(Raymond) : Tableau geographique, p419.

)**66**(Abdoulaye(Bathily) :Les portes de l’or, Le royaume de Galam. Editions l’Harmattan, paris, 1989, p35.

(**67**) العمري: المصدر السابق،ص 127.

(**68**) أحمد موسى عز الدين:النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس للهجرة.، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م، ص 299 .

دول البحر المتوسط، وكانت هذه التجارة تطغى عليها تجارة الذهب حيث كان العرب يمثلون حلقة وصل بين مملكة مالي ودول البحر المتوسط، وكان الذهب هو العملة الرائجة بينهم.

وبفضل رحلة الحج التي قام بها منسا موسى والشهرة التي اكتسبها في القاهرة والحجاز، فإن التجارة العابرة للصحراء قد ازدهرت وازدادت حجما وتدفقا، خاصة بعدما أصبحت مالي معروفة أكثر في المغرب والمشرق الإسلاميين وأوربا، فأصبحت المراكز التجارية المالية كولاته تعج بالملابس المستوردة من مصر والشام، كما أن إبرام منسا موسى لعلاقات دبلوماسية مع كل من المرينيين بفاس والمماليك بمصر وأشراف مكة، أضاف مجالات واسعة لتجارة مالي، وجعل منها قطبا تجاريا لا يمكن تجاوزه.

3 .**التنظيم الاجتماعي:**

إن هذه القوانين كانت عبارة عن مدونة سلوك اجتماعي، وذلك من خلال تنظيمها للحياة الاجتماعية داخل المجتمع المندي الكبير، وكل العشائر المنضوية تحت إمبراطوريته، فلقد قسم المجتمع إلى طبقات على أساس حرفي ومهني، وكل طبقة لها دور خاص ومكانة خاصة في المجتمع[69].وبذلك فقد تم تقسيم المجتمع إلى الطبقات التالية:

ـ **الرجال الأحرار :**وهم المكونين من 16 عائلة أوعشيرة، والمعروفين بحاملي الجعاب[70]، والتي تعرف عند المندي بمصطلح " ملندينغ - جون - تان - ني - وورو (Manding djon-tan-ni-woro)، والتي تعني مجموعة العشائر الحرة للماندينغ و الإمبراطورية[71].

ـ **المرابطون(أو رجال الدين):** وتضم خمس عشائر، التي يطلق عليها اسم ماندينغ - موري - كاندا – لولو، وتعني(العشائر حامية الإيمان والدين)، وهي عائلات كل من سيسي، بيريتي، توري، ديابي، بالإضافة إلى سيلا أو (كوما)، حيث نصت المادة الثانية من الميثاق على احترامهم وتقديرهم[72].

ـ **طبقة الرواة الشفويين(غريوت Griots)**: وينقسمون إلى أربع قبائل كبيرة، وكل منها تتألف من عشيرة أو عدة عشائر تعرف بـ" غنارة ـ ناني"[73].

ـ **الطبقة النبيلة:** وتتكون فقط من العائلات المتحالفة مع سونديانا منذ البداية، وهي عائلات آل كوندي في منطقة دو، آل كوروما، آل تراوري وآل كامارا في مندينغ القديم[74].

(**1**) Centre for linguistic and historical studies by oral tradition (CELHTO), La charte de kurukan fuga ,Aux sources d'une pensée politique en Afrique. Editions l'harmattan, Paris, 2008, p11.

(**2**) حاملو الجعاب هم حاملي القوس والرماح ، أي المحاربين الذين يدافعون عن حدود إمبراطورية مالي، وهي عائلات تراوري، كوندي، كامارا، كوروما، كاميسوكو، ديالو، دياكيتي، سيدبي، سنغاري، دانسوبا، ماكاسوبا، دياوارا، ساكو، فوفانا،كواتا و ديابي.

(**3**)Niane Temsir Djibril , Le soudan occidental au temps des grands empires. Présence Africaine, Paris, 1975, p36.

(**4**)CELHTO , La charte de Kurukan fuga, p42.

(**5**)Niane Temsir Djibril ,Op.Cit, p36.

(**1**)Christophe(Daum) ,Les associations de Maliens en France, Édition Karthala, Paris,1998,p69.

ـ **طبقة نياكامالا:** وهي طبقة الحرفيين وأصحاب المهن، ويمكن تسميتهم بـ"تيريرا" أو دانيوكو"، وهم أقلية في المجتمع. و تنص المادة الثانية من ميثاق كوروكان فوكا على إلزام طبقة نياكامالا بقول الحقيقة لرؤسائهم، وأن يكونوا مستشارين لهم[75]، وأن يدافعوا بالقول والفعل عن القوانين والنظام المقام في الإمبراطورية. وبالإضافة إلى هذه الطبقات، فقد وجدت طبقة العبيد التي تضم عددا من العشائر. كما تم تقسيم المجتمع أيضا إلى فئات عمرية، حيث ينتمي كل الذين وُلدوا في فترة ثلاث سنوات متتالية إلى نفس الفئة العمرية،وأعطى للفئة العمرية الوسطى(التي تنحصر بين فئة الشباب وفئة الشيوخ) حق المشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية الكبرى التي تخص المجتمع.

3. الحقوق والواجبات:

وقد تضمنت قرارات المؤتمر حقوقا وواجبات كل فئات المجتمع المندي. فبالنسبة للحقوق فقد تضمن هذا الدستور حق كل إنسان في الحياة وفي الحفاظ على سلامته الجسدية، بل أنه اعتبر بأن كل مساس بحياة الآخرين فإن عقوبتها الإعدام(.كما تضمن هذا الدستور إقرارا بحقوق المرأة، فقد نصت المادة 14 منه على عدم إهانة النساء لأنهم أمهاتنا، حيث استلهم الدستور هذه المبادئ من الأعراف والأفكار الإفريقية والتي تعطي مكانة مهمة للأم والزوجة والأخت والخالة والعمة، فهي على ما يبدو لم تستورد هذه المبادئ ولم تكن نتيجة تأثّر بثقافة أخرى. فبهذا الخصوص تنص المادة 11 من الدستور على أنه لا يجب تتبع الزوجة إلى بيت الجيران أو مطاردتها في حالة ما إذا هربت من بيت زوجها.

ولم يكتف ميثاق كوروكان فوكا بحماية المرأة فقط، وإنما فتح لها مجالات البروز والمشاركة في الحياة السياسية، حيث تنص المادة 16 من بيان الميثاق على ما يلي:« إن النساء، بالإضافةإلى انشغالاتهم اليومية، يجب أن يشاركوا في كل شؤون حكمنا» [5].

وهكذا نجد بأن سوندياتا قد أشرك المرأة في النقاش السياسي وفي قضايا الأمة. فلقد كان للنساء في المجتمع المندي جمعيات قوية تعرف بـ"نياغاموسو"(Niagamoussou)، حيث تستشار النسوة في تقديم رأيهن بخصوص المشاكل التي تواجه القرية ليساهمن في إيجاد الحلول لها[76].كما حافظ الميثاق على حقوق المسنين، وأوجب احترام كبار السن وتقديرهم[77].

(**1**) Kuyaté siriman , La charte de Kurukan fuga. Radio Rurale de Guinée, Atelier régionale de concertation entre traditionalistes Mandingues et communicateurs des Radios rurales. (Kankan du 02 au 12 Mars 1998), p6

(**2**)وتعرف هذه الفئة بـ " كانكبيKangbé "

(**3**)CELHTO , La charte de Kurukan fuga, p45

(**4**)Kouyaté Siriman , Op.Cit, p7

(**5**)CEHLTO , La charte de kurukan fuga,p19

(**6**)Ibid,p19

(**2**) Kouyaté Siriman ,Op.Cit, p7

(**3**)Ibid,p7

أما فيما يخص الواجبات، فقد اقتصرت على العلاقات الاجتماعية بين الفئات، وحددت واجبات كل فئة مع الآخرين. ذلك أن المادة الثانية من قانون كورورکان فوكا نصت على واجبات طبقة الحرفيين (نياكامالا) والتي تضم الحدادين والنساجين وغيرهم، وهي ضرورة قول الحقيقة لرؤسائهم، وأن يقدموا لهم المشورة للأمة[78].كما فرض على المجتمع المندي طاعة وتقدير واحترام رجال الدين المعروفين بموريكاندا(Morikanda)، بالإضافة إلى وجوب احترام الرواة الشفويين المعروفين بالجيلي باعتبارهم يشكلون ذاكرة الأمة وتاريخها[79].

4.تنظيم الأسرة والعلاقات الاجتماعية:

لقد اهتم المجتمعون في كوروكان فوكا بالخلية الأساسية للمجتمع وتنظيمها ألا وهي الأسرة، حيث تضمنت قوانين ميثاق مندي نصوصا تخص الأسرة والطفل والعلاقات الاجتماعية.

ففيما يخص الأسرة فقد بدأها بتعزيز مكانة المرأة التي تعد عنصر أساسي في المجتمع، فهي الأم والزوجة والأخت والخالة والعمة والجدة، وبذلك فقد حافظ على حقوقها وأجبر الجميع على احترامها كما رأينا. و بما أن الزواج هو أساس تكوين هذه الأسرة فقد حدد ميثاق كوروكان فوكا سن الزواج لكلا الجنسين، فبينما جعل سن زواج الفتاة هو بلوغها) فإن الشباب يمكنهم الزواج ابتداء من سن العشرين. وهو السّن الذيتكتمل فيه القوة الجسدية للرجل، كما حدد مهر العروس بثلاثة ثيران يقدم اثنان منها لأبويها وتأخذ العروس ثورا واحدا[80].

وفيما يخص الطلاق، فقد سمح به لكن في حالات محدودة جدّا وهي: العجز الجنسي عند الرجل أو إصابة احد الزوجين بالجنون، بالإضافة إلى الحالات التي يكون فيها الزوج غير قادر على تحمل متطلبات الأسرة. كما حدد ميثاق مالي العلاقات الأسرية بين الزوج و زوجته وبين الأصهار، حيث أوصى بالتسامح كمبدأ للمعاملة بين الأصهار وكذا بين الأجداد وأحفادهم[81].كما جعل مكانة الصهر (والد العروسة) مقدسة وصنفها في مرتبة كلمة الشرف التي يقدسها المنديون. فقد جاء في المادة19 من الميثاق بأن كل رجل لديه نوعين من الأصهار هما، والد الفتاة التي لم يحصل عليها بعد، والكلمة التي تلفظ بها ولن أن يتراجع عنها[82].أي انه على كل رجل أن يحترم كلمته مع والد الفتاة التي تقدم لخطبتها، و أن كلامه معه هو بمثابة كلمة الشرف التي تعد مقدسة عند المنديين.

ولمعالجة المشاكل الزوجية اليومية، فإن الميثاق وضع نقاطا فيما يخص تعامل الرجل من تتبع زوجته الهاربة إلى بيت جاره، أو إلى بيت زعيم القرية أو رجل الدين أو بيت الصديق

(**4**)CEHLTO , La charte de kurukan fuga,p19- Kouyaté Siriman : *Op.Cit*, p7
(**79**)Kouyaté Siriman , Op.Cit, p7

(**5**)المادة 29
(**1**) المادة 30 .

(**2**)CEHLTO , Op.Cit,p49.

أو بيت الشريك في العمل، وهو نفس الأمر الذي ينطبق علىالأبناء إذا ما ارتكبوا مخالفة وهربوا من البيت[83].

والمغزى من ذلك هو عدم استعمال القوة لإعادة أحد أفراد العائلة إلى البيت، وكذا إبراز مكانة هؤلاء الناس الذين استجار بهم أحد أفراد العائلة عند المندي، حيث أن شفاعة هؤلاء لا ترد عادة. كما نستخلص من هذه المادة أيضا هوالدعوة إلى التعقل وضبط النفس في أوقات الغضب، وعدم التسرع في رد الفعل وإعطائها فرصة للهدوء ومراجعة الموقف لتفادي التداعيات الوخيمة.

وقد خصصت بعض بنود الميثاق للتربية وأولتها أهمية كبرى، فقد جاء في المادة التاسعة منها بأن تربية الأطفال هي مسؤولية كل المجتمع، وأن الأبوّة يشترك فيها الجميع أيضا[84].وبذلك أشرك جميع أفراد المجتمع في العملية التربوية من خلال إلزام كل واحد بإرشاد الطفل إذا أخطأ، وتأنيبه إذا ما تمادى في خطئه. وفي مجال العلاقات الاجتماعية والآداب العامة، فقد وضع ميثاق مندي نصوصا حدد بها المعاملات والسلوكات التي يجب إتباعها بين الناس، ودعا إلى احترام العلاقات الاجتماعية. فلقد ركز سونديانا على علاقات القرابة والجيرة كأساس للتوافق و الوئام بين أفراد المجتمع والشعب المنديمن خلال ما نصت عليه المادة 40 من القانون من ضرورة احترام القرابة والزواج والجيرة[85].

وبذلك اعتبر الجار من أقرب المقربين وفي منزلة القريب من حيث الدم أو القريب من حيث المصاهرة، وهو بذلك يجسد العادات المالنكية المبنية على صلة الرحم وتقديس الجار. فهناك مثل مالنكي يقول: ((إن جارك هو أقرب أقربائك، فعندما يصيبك سوء فهو أول من يجب أنيعلم، وأول من يستطيع مساعدتك))[86]. هذا وقد دعا الميثاق إلى وجوب مساعدة من طلب مساعدتنا[87]، وإلىضرورة تقدم التعازي إلى بعضنا البعض[88].وأوصى بعدم الإساءة للعبيد، وضرورة إعطائهم يوما للراحة في الأسبوع، والحرص على أن يعملوا في أوقات معقولة، حيث جاء في المادة 20 من الميثاق: ((نحن أسياد على العبيد ولكننا لسنا أسيادا على الكيس الذي يحملونه))[89]. أما فيما يخص معاملة المرأة المتزوجة التي تخطئ، فقد نص على عدم وضع أيدينا عليها إلا عندما تفشل كل محاولاتنا في جعل زوجها يتدخل في ذلك[90].

(**3**)CEHLTO , Op.Cit,p18
(**4**)Kouyaté Siriman , Op.cit., p7.
(**5**)CEHLTO , La charte de kurukan fuga,p49

(**1**) Niane temsir djibril , Introduction du livre (la charte de kurukan fuga),p18
(**2**)المادة 30.
(**3**)مادة 10

(**4**)Kouyaté Siriman , Op.cit p8
(**5**)Ibid,p7

أما في مجال الآداب العامة والسلوك الواجب انتهاجه بين الناس، فقد أوصى سونديانا بجملة من المبادئ والمعاملات الإنسانية، فنجد في المادة 23 من ميثاق مندن نصا يفيد بما يلي: ((لا تخدعو بعضكم بعضا، واحترموا كلمة الشرف بينكم))[91]. ودعا إلى عدم الاعتداء على الأجانب[92].وبخصوص هذا البند نذكر الشهادة التي قدمها لنا الرحالة ابن بطوطة فيما يخص احترام الأجانب وحسن معاملتهم ، حيث يذكر بأنه من الأعمال التي استحسنها من أهل مالي قلة الظلم عندهم، وأن سلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه، وهذا ما أدى إلى استتباب الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر إليها ولا المقيم فيها من سارق ولا غاصب، وأنه حتى وإن مات ببلادهم أحد من البيضان فلا يتعرضون لأمواله ولو كانت القناطير المقنطرة[93].ودعت قرارات اجتماع كوروكا فوكا الشعب المالي إلى التواضع وعدم الغرور ، لأن الغرور هو رمز الضعف بينما التواضع والإنسانية هي رمز القوة[94].كما أوصى الميثاق بحسن معاملة الرسل والمبعوثين والمكلفين بمهمات، وأعطى لهم الآمان، حيث نصت المادة 25 منه: ((إن المكلفين بالمهمة لا يخشون شيئا في مندن)).

هذا وقد أعطى دستور مالي للمنديين طريقة التعامل مع العدو وأوصى المحاربين بالنبل والشرف حتى مع أعدائهم، إذنجد في المادة 32من القانون: ((أقتلوا عدوكم لكن تنكّلوا به)). كما شجع على العمل وحدث عليه واعتبره الوسيلة الأساسية للرقي والازدهار.

فسونديانا حسب عدة رواة كان يشيد ويمجد أصحاب المهن، وهي المهن التي بدونها لا يستطيع المجتمع أن يوجد، كما كان يشجب الكسل.لهذا تذهب المادة السادسة من الميثاق إلى أنه لربح معركة الرخاء فإنه تم إنشاء نظام عام للمراقبة من أجل الكفاح ضد الكسل والخمول تعرف بكونوغبان ولو (Konogbène wolo) والتي تعني (عالم المراقبة من أجل النضال ضد الكسل والخمول). ويقوم هذا النظام الخاص على المراقبة العامة من أجل محاربة الكسل من فئة معينة من السن التي توكل إليها مهمة مراقبة العمل داخل الحقول، وتعرف بباراتيكي (Baratigui)، والتي تبحث عن أولئك الناس الذين يأكلون على حساب الآخرين (أي الذين يتقاعسون عن العمل) ومن ثم إعادتهم إلى العمل في الحقول[95].

1. تنظيم الملكيات:

لقد خصصت المواد من 34إلى39 من الميثاق الذي ظهر في كوروكان فوكا للتشريعات الخاصة بتنظيم الملكيات المنقولة والعقارات، وقد حددت المادة 34 منه الطرق الخمس للحصول على ملكية ما، وهي: الشراء، العطاء(الهبة)، التبادل والوراثة. وأي صيغة أخرى للملكية غيرها تعد غير شرعية وباطلة [96].أما إذا وجد أحدهم شيئا بدون مالك معروف فإنه لا يصبح ملكا له إلا بعد أربعة أعوام[97].وبخصوص السرقة من أجل سد رمق الجوع فقد

(**1**) Kouyaté Siriman : Op.ci*t*،p8-

(**92**)المادة 24

)رحلة ابن بطوطة، ص**93**690(

(**94**)المادة 22

(**4**)Niane temsir djibri ,Op , Cit,p20 .

(**5**)CEHLTO , La charte de kurukan fuga, p49- Kouyaté Siriman , Op.cit., p9.

(**4**)CEHLTO : La charte de kurukan fuga,p49

(**5**)المادة 35.

أجازها الميثاق بشرط أن لا يملك السارق حين يسرق شيئا في كيسه أو جيبه، أي لا يجب أن يأخذ معه شيئا من الحقل[98].

أما بالنسبة لملكية الحيوانات، فإنه أقرّ بأنه عندما تلد العجلة فإن مولودها سيكون ملكا للحارس، بينما عندما تبيض الدجاجة فإن الحارس لا يأخذ سوى بيضة واحدة من كل أربع بيضات حسب ما تنص عليه المادة34.وإذا أراد أحدهم أن يبدل ثورا فإن كل ثور يبدل بأربعة كباش أو أربع عنـزات[99]. كما حدد هذا الفصل واجبات الملاك بالنسبة لحيواناتهم، بحيث تنص المادة 39 من الميثاق على أن الحيوانات الأليفة يجب أن تربط وقت الزرع وتطلق بعد جني الثمار، وقد استثنى من ذلك القطط والكلاب والبط والأبقار[100].

(**6**)المادة36.

(**1**)المادة95.

(**2**)CEHLTO , La charte de kurukan fuga, p49.